

ولكن هيهات كان يحدث هذا الإعجاز! وأحياناً كانت يده تلف بعد ذلك بضماذ وتختبر بعد ثلاثة أيام، فإن قام في أذهان المحققين أن الحرق في طريق البرء دلّ ذلك على براءة المتهم، وإلا ثبتت إدانته. هذا، ولا تزال لطريقة "الأورداليا" آثار كثيرة في العصر الحاضر. فمن ذلك مثلاً طريقة "البشعة" التي تسير عليها بعض القبائل العربية في الشام ومصر، وخاصة من يسكن منهم مديرية الشرقية (قبائل المعازي والدراجين والعيادة والحويطات. . . الخ) في تحقيق الجرائم الخطيرة كالقتل وما إليه، وذلك أن يؤتى بطاس من حديد، ويحمى حتى يحمر، ويكلف المتهم أن يلعقه بلسانه، ويتناول جرعة ماء يتمضمض بها بعد ذلك. فإن أحجم عن لعق الإناء أو لعقه وأصابه منه ضرر اعتبر مذنباً. وفي كلتا هاتين الحالتين يعرض أمره على المحكمين ليقتضوا في شأنه بما يرون وقفاً لعرفهم القضائي. وأما إذا لعق الإناء ولم يصبه ضرر منه فإنه يعد بريئاً. وتسمى هذه الطريقة لديهم طريقة "البشعة" بضم الباء أو بكسرها، ويشرف على إجراءاتها (أى على عملية "التبشيع" كما يسمونها) إخصائى يسمى المباشع بكسر الشين المشددة) ويعتقدون أنه لا يوجد إلا مُباشع واحد في مصر، وأن هذه الوظيفة قد آلت إليه بالوراثة، وأنها تنتقل منه إلى أكبر أفراد أسرته سنناً. . . وهكذا، وأن بحسمه حصانة وراثية تجعل النار برداً وسلاماً عليه: حتى لقد جرت العادة أنه يسمح المباشع نفسه الطاس المحمية بيده قبل أن يقدمها للمتهم بدون أن يناله أى ضرر من هذا المسح. ويجرى "التبشيع" عادة في حفل يشهده المباشع والمحكّمون وطرفا الدعوة (المتهم والمجنى عليه) وعدد من أقربائهما. ويحضره كذلك شاهد للطرفين يسمى "سامعة" ويتقاضى هذا الشاهد أجراً على شهادته، كما يتقاضى المباشع نفسه أجراً على عمله (يقدر أجر المباشع عادة لدى قبائل العرب في الشرقية بخمسة جنيهاً على كل متهم).